حقوق الإنسان وكرامته

تنادي الهيئات الدولية في هذه الأيام بحقوق الإنسان وكرامته، لكن كل نداء تصدره يطير أدراج الرياح، وترى كثيرًا من الدول لا كرامة عندها لمواطنيها ولا حقوق لإنسانها ولا سكانها، أعرف دولاً كممت أفواه الأحرار وصادرت الأداء والأفكار، وأبت عليها طبائع الاستبداد أن تسمع إلى رأي مصلح أو تستند برأي مفكر، وإذا دعا فيها داعية إلى النور والحق والهدى سحقه لصوص الشعوب وعربدوا من حوله بشتى التهم، فقالوا: رجعي أفكار وذئب استعمار وعدو الشعب، وما نقموا منه إلا أنه صدع بالحق ونطق بالصدق، وسأل الظالم عن أفعاله، ونهى المستبد عن طغيانه.

ولقد رأيت بعيني دولاً تسلط على مواطنيها لصوص ليل ينزعون المواطن من بين أطفاله ويذهبون به إلى حيث لا يدري به أحد وما له من تهمة إلا أنه إنسان مؤمن شريف، وأنه رفض عبادة طاعون لا إنسانية لديه ولا إيمان ولا شرف.

ولقد رأيت دولاً كبرى نصَّبَتْ من نفسها وصيةً علي حقوق الإنسان وهي في داخلها تعج بالعنصرية والفساد وتتخذ من دول الأرض وشعوبها مناطق نفوذ تسرق أقواتها وتنغص حياتها وتدوس كل مثقف حر بدباباتها، ولربما غزت شعبًا وأحرقت بلاده بتهمة أنه رفض السير في فلك مبادئها الحقيرة وسياستها المجرمة، وفي غمار حمأة آسنة من الدجل والنفاق والكذب تتحطم حياة الشعوب وحريتها على صخرة شهوات المجرمين ونزوات الغاصبين، والحق أن من يتأمل أحوال العباد ويسير في كثير من البلاد يرى حضارة العصر في وادٍ وسعادة الناس في وادٍ.

إنَّ دين الإسلام هو الذي علَّم الدنيا كلها كرامة الإنسان وقداسة دمه وماله وعرضه، فقد علَّم الدنيا أن الإنسانية عائلة واحدة، خلقها ربنا لتتعارف وتتعاون، وأفضل هذه العائلة أنفعها لأفرادها، وأكرمهم اتقاهم لله، وأقربهم إلى الخير والمعروف، وأبعدهم عن الأذى والشر والفساد، يقول ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا**

﴿وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]؛ حيث يخاطب الله ﷻ جميع البشر، ويذكرهم أنهم إخوة لأم وأب، وحثهم على توثيق وشائج التعاون والصداقة فيما بينهم.

وفي خطبة الوداع وجّه رسول الله ﷺ الكلام إلى الناس فقال: «**أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى**».

ويبيّن القرآن الكريم حرمة الدماء وفداحة جريمة القتل، ويذكر قصة رجل من المسلمين سرق واتهم يهوديًّا بتلك السرقة، وكاد ينجح في تزويره ويوقع البريء تحت طائلة القصاص لولا أن أنزل الله وحيه ببراءة اليهودي في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلاَ تَكُنْ لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٨]، والخائنون هنا هم الذين اقترفوا الجريمة ورموا بها اليهودي، ثم يمضي القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللهَ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٦]، ومعناها استغفر الله لذنبك؛ لأنك أحسنت ظنك بالمسلم الذي سرق، وكدت تعاقب اليهودي البريء، ويختم القرآن الكريم هذه الواقعة بقوله تعالى: ﴿وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۞ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ۞ هَا أَنْتُمْ هَؤُلاَءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ۞ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۞ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧].

وقد قرأنا في كتب السيرة أن اليهودي حين نزلت براءته في كتاب الله من السماء قال: إن دينًا ينصف يهوديًّا من المسلم، وينزل براءة اليهودي من السماء أحق أن يُتبع، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

ولما أراد بعض أهل الأديان من البلاد التي فتحها المسلمون أن يبقوا على أديانهم لم يسفك الإسلام دماءهم، وكان كل ما فعله معهم أن أعفاهم من الجندية في مقابل جزية خفيفة، واعتبرهم ذميين لهم من الحقوق ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم، وأوصى المسلمين ببرهم والإقساط إليهم ما داموا لا يخونون المسلمين، ولا يتآمرون مع أعدائهم عليهم.

وحين قدم وفد نصارى نجران استقبلهم النبي ﷺ أجمل استقبال، وكان يحمل لهم الطعام على كتفه، وسمح لهم بأداء صلواتهم في المسجد قائلاً لهم: «**إلهنا وإلهكم واحد**»، ثم جادلهم بالتي هي أحسن، ودعاهم في أمر التوحيد إلى كلمة سواء يلتزم بها المسلمون والنصارى، وهي ألا يعبد الطرفان إلا الله إلهًا واحدًا، وألا يتخذوا من دونه إلهًا.

وما عُرف عن رسول الله ﷺ أنه قتل رسولاً من الرسل الذين كان يستقبلهم من أهل الكتاب والمشركين والمجوس في حين أن كسرى قتل رسول النبي ﷺ، وفعل مسيلمة مثل ذلك.

وقد أشاد النبي ﷺ بكرامة الإنسان، ونهى عن ضرب الوجه الإنساني؛ لأنه صورة لأبينا آدم، ونهى عن أن يلعن إنسان بعد قتله أو قصاصه أو أن يمثل بجسده، كما نهى عن المثلة ولو بكلب عقور، وما عُرف أنه فجع امرأة من الأسرى بولدها أو فرّق بينهما، وكان أكرم الناس منتصرًا، أعتق رقاب كل مشركي مكة حين خاطبهم قائلاً: «**أذهبوا فأنتم الطلقاء**».

وقد تعلَّم المسلمون من قرآنهم أن الإنسان هو أقدس ما خلق الله، وأن الله أسجد الملائكة للإنسان إعلانًا لكرامته، وأن ربنا جل جلاله جعل الأرض للإنسان نزلاً وضيافةً، وخلقها في يومين وبارك فيها، وقدر فيها أقواتها في يومين آخرين، فتمت بذلك أربعة أيام، ثم خلق السموات كلها في يومين فقط، وحسبك بهذا دليلاً على كرامة الإنسان عند ربه، قال تعالى: **﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۞ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ۞ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۞ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾** [فصلت: ٩- ١٢].

الاحترام المتبادل بين أفراد المجتمع

لعل أوضح دليل على حضارة مجتمع من المجتمعات هو شيوع الاحترام المتبادل بين أفراده، فإذا زرت بلدًا أو شعبًا فوجدت بين أهله تقديرًا متبادلاً واحترامًا صادقًا؛ فاعلم أن هذا المجتمع متحضر حقًّا، وإذا رأيت مجتمعًا يسوده السفه والهمز واللمز والاستهزاء والحط من الكرامات؛ فاعلم أنه مجتمع همجي لم ينل من الحضارة الحقيقية نصيبًا.

- إذا رأيت شابًّا يهزأ بشيخ ويعيب مشيته أو ثيابه أو احديداب ظهره؛ فاعلم أن ذلك الشاب همجي غير متحضر، ولو لبس على جلده الحرير ورفل في المركب الوثير.

- وإذا رأيت مجموعة من الشباب ينصحهم ناصح فيمدون إليه ألسنتهم أو ينفضون إليه رءوسهم أو يتهامزون من حوله ويتلامزون؛ فاعلم أن هؤلاء الفتية لم ينالوا نصيبًا من الأدب والحضارة.

- وإذا رأيت امرأةً تستقبل ضيفاتها باستعلاء وتكلف وغرور بالمظهر وتصنفهن حسب الفقر والغنى، فتتظاهر للغنية وتزدري الفقيرة؛ فاعلم أن هذه امرأة همجية تنقصها الحضارة الحقيقية.

لقد علَّمنا رسول الله ﷺ دروسًا ساميةً في تقدير الناس واحترام كلٍّ على منزلته وخلقه، فكان -عليه الصلاة والسلام- ينزل الناس منازلهم، ويشعر كل صحابي من أصحابه أن له في قلبه الكبير منزلة خاصة، حتى لقد كان -عليه الصلاة والسلام- أغنى عليهم من كلِّ نفيس وأعز عليهم من كلِّ عزيزٍ، حتى لقد قال أحدهم رضي الله عنه: «عندما وارينا رسول الله ﷺ ورجعنا إلى بيوتنا أحسسنا كأنما فقد كل منا قلبه».

ولقد كان الطابع السائد في مجتمع السلف -رضوان الله عليهم- الاحترام المتبادل وعلاقة الإخاء، وتلك أسمى علاقات الإنسان بأخيه، وأصدق أدلة الحب والاحترام.

- روى مسلم والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**».

- وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ أقام الحد على شارب خمر فقال بعض القوم يخاطب المذنب: أخزاك الله، فقال -عليه الصلاة والسلام: «**لا تقولوا هكذا، لا تعينوا عليه الشيطان**».

- وفي الحديث المتفق عليه أن امرأة سوداء كانت تَقُمُّ المسجد «أي: تكنسه»، فسأل عنها رسول الله ﷺ، فقالوا: ماتت، قال: «**أفلا كنتم آذنتموني** (أي: خبرتموني)؟ وكأنهم كانوا قد استصغروا أمرها أن يخبروه بموتها، فقال: «**دلوني على قبرها**»، فدلوه فصلى عليها.

- وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**رُبَّ أشعث أغبر مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره**».

- وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر رضي الله عنه: «**لأن كنت أغضبتهم -يتحدث عن سلمان وصهيب وبلال ونفر من المستضعفين- فلقد أغضبت الله ورسوله**».

- وروى مسلم أن نفرًا من المشركين اقترحوا على رسول الله ﷺ أن يطرد من مجلسه العبيد والمستضعفين، فنزل قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**﴾ [الأنعام: ٥٢].

- وفي سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط**».

- وروى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**ما أكرم شابٌّ شيخًا لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنِّه**».

- وروى أبو داود والترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا**».

- وروى الترمذي أن شيخًا جاء يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم أن يوسعوا له فقال ﷺ: «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا**».

- وروى أبو داود أن عائشة -رضي الله عنها- مرَّ بها سائل فأعطته كسرةً، ومرَّ بها أحد وعليه ثياب وله هيئة فأقعدته فأكل، فقيل لها في ذلك فقالت: قال رسول الله ﷺ: «**أنزلوا الناس منازلهم**».

- وروى أن جرير بن عبد الله ﷺ دخل مجلس رسول الله ﷺ، فرأى البيت مملوءً، فرمى إليه رسول الله ﷺ بردائه أو بإزاره، وقال: «**اجلس على هذا**»، فأخذه وقبَّله وضمه إليه وقال: أكرمك الله يا رسول الله كما أكرمتني.

- وفي الحديث المتفق عليه عن أنس ﷺ أن الرسول ﷺ كان إذا مرَّ على صبيان سلَّم عليهم، وصح أنه قال لأم هانئ بنت أبي طالب عندما زارت بيته مرحبًا بأم هانئ وسألته أن يجير رجلاً؛ لأنها أجارته فقال لها: «**قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ**»، وصح أن رسول الله ﷺ مرَّ في المسجد يومًا وعصبة من النساء قعود، فسلَّم عليهن، وفي رواية: «فألوى بيده بالتسليم».

أولاً: الكلمة الحلوة تأسر القلوب، وقد شبَّه ربنا ﷻ الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة الثابتة الأصول الساحقة الفروع التي تثمر في كلِّ حين، وتصل فائدتها إلى يوم القيامة، فمن شاء أن يتزود بالأصدقاء والمحبين؛ فليسع الناس بالكلم الطيب والخلق الحسن والوجه البشوش.

ثانيًا: كان -عليه الصلاة والسلام- يحترم أصحابه أعظم الاحترام، ويبدأهم بالتحية والسَّلام، وكان لكلٍّ منهم في نفسه مقام معلوم ألم تره، وهو يودِّع عمر ﷺ حين توجه عمر للحج ودعَّه وهو يقول له: «**يا أخي، لا تنسنا من دعائك**».

وسمَّى أبا بكر بـ«الصديق»، وعمر بـ«الفاروق»، وأبا عبيدة بـ«أمين الأمة»، وخالدًا بـ«سيف الله المسلول»، ثم ألم تره -عليه الصلاة والسلام- يحترم كل مسلم ولا يحقر أي فقير أو مستضعف.

ثالثًا: في بعض أوساط الطلاب والشباب يكثر هؤلاء الناشئة أن يتشاتموا أو يتباذئوا مع أن أوامر دينهم الحنيف تنهى عن البذاء والسباب حتى ولو لمشرك ميت أو لصنم جماد، يقول الله تعالى: ﴿**وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ [الأنعام: ١٨].

رابعًا: المسلم يعطي كل ذي علاقة حقه من الاحترام والكلم الطيب، فللوالدين والأرحام احترام، وللجار احترام من نوع مميز، ولليتيم الضعيف احترام خاص، ولسادة

القوم احترامهم على قدر منازلهم، ولسان المؤمن كأزهار الربيع جمالاً مبهجًا شذا عطرًا طيبًا، فإذا رأيت في مجتمعات الأجانب كلامًا طيبًا واحترامًا مهذبًا، ورأيت في مجتمعاتنا بعض بذاء وسباب وعدم تقدير؛ فاعلم أن القوم عملوا بآداب ديننا، وأنا نبذناه ظهريًا.

ما يجب على المسلم إزاء مجتمعه وإخوانه

إذا انتظم أي إنسان في سلك الإسلام أصبح عضوًا عاملاً في مجتمع فاضل كريم متعاون على الخير، تشيع فيه الرحمة والمحبة والتعاون على الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبمجرد أن يرضى المرء بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً تفرض عليه واجبات، وتصبح له حقوق إزاء كل مسلم في مشارق الأرض ومغاربها، وقد فصلت هذه الواجبات في الكتاب والسُّنة.

وهذه أحاديث كريمة تبحث الحقوق والواجبات التي تترتب على كلِّ مسلم إزاء جميع إخوانه في المجتمع الإسلامي المبارك:

- وروى الإمام البخاري -رحمه الله تعالى- من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أنصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، قيل: يا رسول الله، أنصره مظلومًا؛ فكيف أنصره ظالمًا؟! قال: تحجزه عن الظلم أو تمنعه عن الظلم؛ فإن ذلك نصره**».

- وفي سنن أبي داود من حديث جابر وأبي طلحة: «**ما من مسلم يخذل مسلمًا في موضع تنتهك فيه حرمته، وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلمًا في موضع ينقص فيه من عرضه وينتهك فيه حرمته إلا نصره الله في موضع يحب فيه نصرته**».

- وفي جامع الترمذي: «**من ذبَّ عن عرض أخيه ردَّ الله النار عن وجهه يوم القيامة**».

- ولأبي داود من حديث واثلة: قلت: يا رسول الله، ما العصبية؟ قال: «**أن تعين قومك على الظلم**».

- وروى الشيخان وأصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا أن رسول الله ﷺ قال:

obeikandi.com

«**للمؤمن على المؤمن ست خصال: يعوده إذا مرض، ويشهده إذا مات، ويجيبه إذا دعاه، ويسلم عليه إذا لقيه، ويشمته إذا عطس، وينصح له إذا غاب أو شهد**».

- وفي جامع الترمذي: «**إذا اشتريت لحمًا فأكثر مرقته واغرف لجارك منه**».

وله أيضًا: «**إن أحدكم مرآة أخيه، فإن رأى به أذى فليُمِطه عنه**».

وللترمذي أيضًا: «**الدين النصيحة**».

وروى الشيخان من حديث أبي موسى رضي الله عنه: «**المؤمن للمؤمن كالبيان يشد بعضه بعضًا**».

أولاً: المجتمع الإسلامي مجتمع نبيلٌ متحضر يقوم على العدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والظلم، وأهم خصائص المجتمع الإسلامي خلوه من الظلم؛ لأنه قرين الكفر والشرك ونقيض الأمن والإيمان، وقد حرَّمه الله -تبارك وتعالى- على نفسه، وحرَّمه على عباده، وطلب منهم عباده أن يقوموا لله بالقسط، ويقيموا شهادة الحق ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين، ولا شكَّ أن أكبر مشكلات الإنسانية عبر تاريخها هي ظلم الأقوياء، ومن ثم فمجتمع الإسلام هو النموذج الإلهي للمجتمع المتحاب السعيد الفاضل.

ثانيًا: المسلم بفضل الله -تعالى- قد تمتلئ صفحاته بالحسنات وهو لا يدري؛ لأن دعوت صالحات كثيرات تصل مشارق الأرض ومغاربها، وهو لا يدري فيكتبها ربنا جل جلاله لعبده الصالح ويستجيبها بمنه وكرمه، إذا صلى مسلم في أي صقع من أصقاع الدنيا؛ فإنه يدعو لنفسه ولجميع المسلمين، والله سبحانه قريب يجيب دعوة الداع إذا دعاه، لذا فالمجتمع الإسلامي -بفضل الله- سعيد بأخوة الإسلام التي تدعوك أن تدعو لأخيك بظهر الغيب، وما أحسن أن يدعو المسلم لجميع إخوانه المسلمين كلما دعا لنفسه ولوالديه ولآل بيته.

ثالثًا: أول حقوق أخيك المسلم عليك أن تنصره إذا اعتدى عليه معتدٍ فانتقص من عرضه أو انتهك من حرمته وكرامته، كما تنصره أيضًا إذا رأيته ظالمًا معتديًا فترشده إلى العدل وتحجزه عن الظلم، وتمنعه من العدوان؛ فتكون بذلك قد باعدت بينه وبين النار، وأي نصر أعظم من هذا؟!

إن الإسلام يكره الظلم ولا يرضاه للمؤمن، بل ولا يرضاه لغير المسلم من الذميين، فإذا اعتدى مسلم على كافر من أهل الذمة أوجب عليك الإسلام أن تنصر أخاك المسلم بردعه عن الظلم وحجزه عن الاعتداء.

رابعًا: إذا كان مسلم يتقاعص عن مناصرة أخيه المسلم ويتخلى عنه وهو يُظلم، فإن الله ﷻ سوف يخذله إذا ظُلِمَ، ومن ثَمَّ فما يجوز بحال من الأحوال إذا اعتدت أمة كافرة على دولة مسلمة أن تقف الدول الإسلامية الأخرى موقف المتفرج، بل يُشرع أن تهبَّ هبة رجل واحد لدحر الكفار عن ديار الإسلام، وبهذه الخاصة تظل أمة محمد ﷺ متماسكة كالصخرة العاتية أمام العواصف والتحديات.

خامسًا: ومن حق كل مسلم على أخيه المسلم أن ينصح له أي أن يخلص في إرشاده إلى الخير، فالدين النصيحة، والمؤمن مرآة أخيه يكمل نقصه، والنصيحة في الأمة الإسلامية يجب أن تكون شاملة لجميع أفراد الأمة الإسلامية، فتنصح للفقراء وللأغنياء كما تنصح لأئمة المسلمين وعامتهم، ومن النصيحة إذا كنت عالمًا أو متعلمًا ألا تبخل على أخيك المسلم بعلمك وخصوصًا إذا سألك عن أحكام دينه أو استعانك في مادة من دراسته، وبذلك يكون المجتمع مجتمعًا متناصحًا، شعاره الإخلاص وصدق العاطفة والحب الخالص لوجه الله، وبهذه الميزة يتجلى وجه المجتمع الإسلامي ظاهرًا مقدسًا وضاءً تسشيع فيه الصراحة والصدق.

سادسًا: من حق أخيك المسلم في مشارق الأرض ومغاربها عليك أن تحبه في الله، وتتقرب إلى الله بحبه، ولقد حثَّ الإسلام جميع أفراد المجتمع المسلم أن يتحابوا ويفشوا في سبيل هذه المحبة السلام ويطعموا الطعام، وفي هذا أوصاهم رسولهم -عليه الصلاة والسلام- فقال: «**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا**»، ثم أوصاهم أن يحققوا المحبة بإفشاء السلام، ورغَّبهم -عليه الصلاة والسلام- في خصلة المحبة في الله، وأعلن أن المتحابين بجلاله يكونون على منابر من نوره في ظل عرش الرحمن.

سابعًا: ومن أجل دوام هذا الوداد أوصى رسول الله ﷺ كل مسلم أن يظهر المشاعر النبيلة إزاء أخيه المسلم في كل مناسبة، فيشاركه أفراحه وأحزانه ويتألم لألمه، ولو كان في أقصى بقاع الأرض، ويفرح لفرحه مهما باعدت بينهما الأزمان والأمكنة.

وإذا كان أخوك المسلم قريبًا منك، فعليك أن تكون دومًا مراعيًا لشأنه، تعوده إذا مرض لينسى بِوَنَسِكَ آلامه، وتحترمه ميتًا فتشهد جنازته، وتعاون في شأن حمله ودفنه، ثم إذا دعاك إلى طعام أو وليمة فلبِّ دعوته؛ لأن مجاملته بالأكل في بيته توثق الصلات، وحيثما لقيك أخوك المسلم فسلِّم عليه، وإذا سلَّم عليك هو مبتدًا فحيه بأحسن من تحيته، وإذا عطس على مسمع منك فحمد الله فشمته وادع له بالرحمة؛ ليدعو هو لك بدوره بالهداية وصلاح البال.

كلُّ هذه الأعمال الطيبة توثق عرى المحبة بين أفراد المجتمع الإسلامي، فيصبحون كما ورد في الحديث الصحيح المتفق عليه: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**».

هذا، وما أجمل الملاحظتين اللتين وردتا في حديث الترمذي، وهما أن يكثر المسلم المرقة إذا طبخ لحمًا، ويتعهد جيرانه وخصوصًا إذا كانوا فقراء؛ لأن للحم نكهة إذا طُبخ قد يشمها أطفال الجيران، فما أجمل أن يغرف الجار لجاره، فيشفي بذلك شوق أطفاله إلى اللحم.

أما الملاحظة الثانية؛ فهي أنك إذا لقيت أخاك المسلم فربما تجد في وجهه أو تحت أنفه وحول فمه أو على بعض ملابسه أذى لم يتمكن من رؤيته، فكنْ حينئذٍ مرآة لأخيك، ونبِّهه للأذى أو أزله بنفسك، وبذلك تريه من نفسه ما لا يرى، ويقابلك هو بشكر وامتنان عميقين.

حقُّ المسلم على المسلم

هذا الحديث الشريف يشتمل على آداب وأحكام معًا، وهو حديث صحيح رواه الإمام مسلم -رحمه الله- في صحيحه، وإني مورده إن شاء الله، فمتبعه بإشارات عابرة للآداب وشرح مفصل للأحكام.

قال رسول الله ﷺ: «**حقُّ المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصحه، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه**».

هذه هي حقوق المسلم الذي لا تربطك به إلا رابطة الإسلام، فإذا كان من ذوي الأرحام أضيفت إليها حقوق الرحم، وإذا أصبح هذا المسلم جارًا لك أضيفت لحقوقه حقوق الجار، والإسلام حين رسم تلك الحقوق إنما هدف إلى إعلاء بنيان الإخاء الإسلامي؛ ليظل صرح

الإسلام شامخًا متماسكًا، لا تنال منه المؤامرات الكافرة وحبائل المكائد الغادرة.

وهذه بعض الأحكام تتعلق بوصايا هذا الحديث الجامع الكريم:

أولاً: أفعال الأمر الواردة في هذا الحديث ستة، وهي (سلِّم عليه، وأجبه، وانصحه، وشمته، وعده، واتبعه)، وبين الأشياخ خلاف: هل هذه الأوامر واجبة أم هي سنة أم أن بعضها واجب وبعضها فرض كفاية، وبعضها مندوب؟

والحق أن المتدبر لأهداف الإسلام الكريمة ومقاصده الجليلة النبيلة يذهب مع من يعتبرها واجبة؛ لأنها كلها وسائل للتحاب والألفة والتآخي، وتلك تحتل من الإسلام منزلة جليلة، حتى لقد عدها الأشياخ أهداف العبادات وأركان الإسلام؛ فالصلاة والزكاة والصوم والحج ما شرعت إلا الحج لهدفين كبيرين هما تحقيق التوحيد خالصًا لله وحده، وتوحيد الكلمة تحت راية الإخاء، ومن هنا فإني آخذ برأي من يعتبر الأوامر الواردة في هذا الحديث واجبة.

إذا لقيت أخاك المسلم فسلِّم عليه، وقد قال كثير من العلماء أن البدء بالسلام سنة وأن رده فريضة، ولكن الذي ورد في الصحيحين في أمر السلام والابتداء به قد يستشف منه الوجوب، قال رسول الله ﷺ: «**ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم**»، وفي الصحيحين عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ، وَعَلَى مَنْ لَمْ تَعْرِفْ**».

والسلام اسم من أسماء الله الحسنى، فكأنك تقول حينما تسلم عليه: أنت في حفظ الله الملك القدوس السلام، أو أنت في مأمن وسلام، وأقل السلام: السلام عليكم، والأفضل أن تقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقد جاء في الحديث أن السلام عليكم بعشر حسنات، فإذا أضيف إليها (ورحمة الله) كانت بعشرين، وإذا أضيف إليها (وبركاته) أصبحت ثلاثين، ويسلم المسلم على أخيه المسلم إذا لقيه كما يسلم عليه إذا فارقه، وفي الأثر: «**إذا قعد أحدكم فليسلم، وإذا قام فليسلم، وليست الأولى بأحق من الثانية**».

وإذن فإذا لقيت أخاك المسلم فقلْ له: السلام عليكم، وإذا هممت بمفارقته فقلْ له: السلام عليكم؛ ففي حديث أبي داود: «**إذا لقى أحدكم صاحبه، فليسلم عليه؛ فإن حال بينهما**

شجرة أو جدار ثم لقيه فليسلم عليه».

ثانيًا: وقوله ﷺ: «**وإذا دعاك فأجبه**»؛ فهو من باب الآداب، ومن المعروف أن العيش والملح، وإذا أكله الرجل من بيت أخيه يوثق القلوب، وكان ﷺ إذا دعي ولو إلى كراع أجاب، وحكم إجابة الدعوة أنه سنة مؤكدة، ويزداد التوكيد حتى يصل إلى الوجوب إذا كانت الدعوة لوليمة عرس، وذلك لأن مشاركة أخيك في أفراحه تنمي أواصر المحبة والإخاء.

ثالثًا: وقوله ﷺ : «**وإذا استنصحك فانصحه**» يُحمل على الوجوب؛ لأن الدين النصيحة، ومن الواجب على المسلم إذا طلب أخوه نصيحته أن ينصحه إياها خالصة مخلصة لوجه الله.

رابعًا: أما عيادة المريض واتباع الجنائز؛ فهما -والله أعلم- أدبان واجبان، فإذا مرض أخوك المسلم فعده، وإذا مرت عليك جنازته فاتبعه سواء أكنت تعرفه أم لا، وقد كان رسول الله ﷺ يحرص حرصًا شديدًا على عيادة المريض واتباع الجنائز، وقد عاد رسول الله ﷺ خادمًا له ذميًّا من أهل الكتاب، فأسلم ببركة تلك العيادة.

خامسًا: وأما تشميت العاطس إذا حمد الله؛ فقد ذهب فريق من الأشياخ إلى وجوبه حملاً على حديث البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: «**إذا عطس أحدكم وحمد الله كان حقًّا على كل مسلم يسمعه أن يقول: يرحمك الله**»، وإذا تكرر العطس لم يزد المشمت على ثلاث، ويقول المشمت للعاطس: يرحمك الله، ويرد العاطس: يهديكم الله ويصلح بالكم، و يلحقها بقوله: يغفر الله ولنا ولكم، هذا ويحمد العاطس ربه؛ لأن العطاس يعقبه بعض الانتعاش؛ حيث يقذف العاطس خارجًا ما تجمع في رأسه من الأبخرة الزائدة والمحتقنة، ومن أدب العطس أن يضع العاطس يديه على وجهه حتى لا ينتشر رذاذ العطس من حوله.

احترام المسلم لأخيه ورحمته به

من آداب المؤمن أن يملئ قلبه حبًّا واحترامًا ورحمةً وتمنيات طيبة لجميع المسلمين، وأن يعامل كل مسلم وكأنه أخوه؛ فلا يسمح بإهانته ولا يرضى بغمط حقه، ولا يسلمه لظالم يدوس حرمته.

نعم إن الإسلام يطالب كل مسلم أن يعظم حرمات المسلمين، ويخفض لهم جناحه، وإذا ألمت بأخيه المسلم ملمة نصره وهب إلى نجدته، وكان في حاجته؛ لأن كل مسلم آمن بالله وأدى فرائضه يصبح في ذمة الله، ويكتب من حزبه، والله ﷻ يعتبر المؤمنين أحباءه، ويجعل لهم في القلوب ودًّا وإجلالاً، حتى لقد قال رسول الله ﷺ: «**لزوال السموات والأرض أهون عند الله من قتل مؤمن**».

لقد شاهدت بعض الموظفين إذا دخل عليه المراجعون من ذوي الحاجات جعل أكبر همه قضاء حوائجهم وتسهيل أمرهم ويقبل على معاملاتهم يسهلها ويكمل نقصها، ويرشد إلى أقرب الطرق لإنجازها، فينصرفون من مكتبه شاكرين خلقه الكريم وأصله النبيل.

وشاهدت من الموظفين من ينهر المراجع ولا يبالي بإحساسه ولا يرقب فيه أخوة ولا ذمة، وربما عرقل معاملته من أجل أمر تافه.

ولقد رأيت أصحاب المعاملات ربما انتظروا ساعة أو أكثر من أجل أن يكتب كلمات قليلة، ثم إن الموظف يقوم عن مقعد عمله فيغيب طويلاً وتتعطل المصالح، ونسى هذا الغافل في غمرة الغطرسة أنه يتعامل مع إخوته وأنه يهينهم ويدوس حرمة إخاء عقدها ربنا من فوق سبع سموات، حين قال في محكم آياته: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [الحجرات: ١٠].

إنَّ مَن يحتقر المسلمين؛ فقد قطع أرحامًا أمر الله أن توصل، وتجاهل إخاءً أمر الله أن يحترم، وحرم نفسه من لذة الصلة والمعروف، ويخشى أن يحيط به وعيد الله المرهب في قوله تعالى: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ**﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

إنَّ الإخاء الإسلامي مصدره عزة وأيّة عزة أعظم من شعور المؤمن أنه له ألف مليون من الإخوان يدعون له ويحبونه ويفرحون لفرحه ويحنون لنصرته ويتعطشون لنجدته، ولقد كان رسول الله ﷺ أحرص الناس على كرامة المسلم وصون حرمته واحترام شعوره، فقد جاء في صحيح الإمام البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنِّي لأَقُومُ إِلَى الصَّلاَةِ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاَتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ**».

إنَّ المؤمن حين يصلي الصبح يدخل في ذمة الله، فإذا جاءك في حاجة فخدمته من أجل ذمة الله؛ فكأنما ترعى ذمام ربك، أما إن أهنته بدلاً من معونته؛ فذلك أمر خطير، فقد جاء في صحيح الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**من صلى صلاة الصبح؛ فهو في ذمة الله، فلا يطلبنكم الله بشيء فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه، ثم يكبه على وجهه في نار جهنم**».

ولأنك -يا أخي المسلم- لا تحب أن يحقرك أحد أو يُخيِّب رجاءَك أو يهين مشاعرك؛ فاحرص ألا تفعل شيئًا من هذا لإخوانك، لكي يكمل بالله إيمانك؛ فقد جاء في الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»، وفي الحديث المتفق عليه أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «**المؤمن للمؤمن كالبيان يشد بعضه بعضًا، وشبَّك بين أصابعه**»، وفي الصحيحين: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**».

وقد عدَّ رسول الله ﷺ للمسلم حقوقًا، ودعانا أن نؤديها وهي رد السلام، وعيادة المريض، وإجابة الدعوة، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، والنصح له، وألا تؤذيه بقتار قدرك إلا أن تغرف له، وإذا اشتريت لأولادك حلوى أو أشياء مسلية مما يثير أعصاب الأطفال؛ فلا ترين أولاد جارك إلا أن تشركهم مع أولادك في الأكل أو اللعب، وإذا اطلعت على عورة من عورات أخيك فاسترها وانصحه في رفق ولين؛ فقد جاء في صحيح الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يستر عبدٌ عبدًا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة**».

هذا ومن آداب المؤمن أن يحاول جهده تفريج كربة المكروب، وأن يكون دائمًا في عون أخيه؛ ليكون الله في عونه.

هذا ومن آداب المؤمن أيضًا إذا كان ذا جاهٍ أن يشفع لأخيه خيرًا عند المسئولين بجاهه؛ لأن الله يثيب من يبذل جاهه كما يثيب من يبذل ماله، يقول الله تعالى: ﴿**مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا**﴾ [النساء: ٨٥]، وما أجمل قول أبي تمام:

وَإذا امرُؤٌ أَسدى إِلَيكَ صَنيعَةً ... مِن جاهِهِ فَكَأَنَّها مِن مالِهِ

إنَّ جلساء الحكام عليهم أمام الله واجب كبير، وهو أن يشغلوا ألسنتهم بالكلم الطيب،

وأوقاتهم بالعمل الصالح، ألا يغتابوا في حضور المسئولين، وأن يقولوا كلمة الحق حتى لا تضيع الحقوق بسبب فساد البطانة.

ولقد كان رسول الله ﷺ إذا جاءه مرتكب خطيئة أو طالب حاجة قال لجلسائه: «**اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيِّه ما شاء**».

وفي صحيح البخاري أن صحابية اسمها «بريرة» اشتكت زوجها إلى رسول الله ﷺ تطلب الطلاق منه، فقال لها النبي الكريم: «**لو راجعته**»، فقالت: يا رسول الله، تأمرني؟ قال: «**إنما أنا أشفع**» قالت: لا حاجة لي فيه. يعني رأت أن رسول الله ﷺ يشفع في الأمر ولا يأمر حين إذن أبدت رأيها صراحةً.

هذا، ومن آداب المسلم إزاء إخوانه إذا مرَّ على متخاصمين أو مقتتلين أن يصلح بينهما، وإذا رأى أحدهما يريد أن يبغي على أخيه إما لقوته أو نفوذه؛ فعليه أن ينضم إلى المظلوم ويردع الظالم بالقوة.

هذا، والمؤمن يكون أبدًا عظيم الاحترام والعطف على الضعفاء؛ لأن هؤلاء لهم كرامات عند الله، ففي الحديث: «**إنما ترزقون بضعفائكم**»، ولـ«**رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره**»، ولهذا فإن من أعظم آداب المؤمن أن يملأ قلبه عطفًا على كلِّ يتيم وسائل ومحروم، وأن يغمر بالإحسان بناته وأرحامه وخصوصًا أولئك الضعفاء والفقراء منهم؛ ففي الحديث المتفق عليه أن امرأة سوداء كانت تكنس المسجد، ثم ماتت -رضي الله عنها- ولم يدر رسول الله ﷺ بموتها، ثم ذهب رسول الله ﷺ فلما أعلموا بموتها، قال: «**أفلا آذنتموني**»، ثم ذهب إلى قبرها، وصلى عليها تعظيمًا لحرمة الله الذي عبدته، وفعلت الخير من أجله، وما أجمل قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ**﴾ [الحج: ٣٠].

* * *

obeikandl.com

احترام المسلم لأخيه المسلم

إذا رأيت إنسانًا يحبه الناس ويحمدون شمائله ويثنون خيرًا على كرم أخلاقه وبشاشة وجهه وحسن استقباله؛ فاعلم أن الله ﷻ يحبه، وأن جبريل ﷺ وأهل السماء يحبونه، وأن الله قد وضع له القبول في السماء والأرض.

وإذا رأيت إنسانًا يمقته المسلمون ويذكرونه بقبيح الخصال وظلم العباد وتعسير الأمور وتعطيل المصالح وعبوس الوجه؛ فاعلم أن الله من عليا سمواته يبغضه، وأن جبريل وأهل السماء يبغضونه، وأنه قد وضعت له البغضاء في الأرض والسماء، ولا غرو فرأي المؤمنين من رأي الله، ورؤيتهم من رؤية الله، وللرأي العام المؤمن تقدير من الله ورسوله، وإن شئت فاقرأ قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

وإني رأيت موظفي الدولة والمسئولين عن مصالح العباد ينقسمون إزاء هذا الأمر قسمين، رأيتهما بنفسي وبلوتهما في من حولي؛ فمنهم إذا راجعتهم في معاملة أو مصلحة استقبلك في بشاشة وغمرك بالنصيحة، وسهَّل لك الشكليات، وسلك بك أيسر الطرق، وأمر بها لتصل إلى طلبك في يسر وتيسير، فتنصرف من لدنه وأنت تدعو له ولوالديه ولكل من ساهم بتربيته.

ومنهم مَن إذا تقدمت إليه في موضوع لم يكد يرفع إليك رأسه، وتراه لا يقطع شيئًا من سمت أهوائه يضع رجلاً على رجلٍ، وسيجارة في الفم، والهاتف على أذنه يخاطب به بعض بطانته حول سهرة الليلة وتمشية النزهة، حتى إذا أحس بطول وقوفك تناول طلبك، فقرأه في سآمة، وفكَّر في كلِّ العراقيل، فاختار منها ما يعجبه، وإذا استعطفته قال لك: هذا هو النظام، هل نكسر التعليمات من أجلك، لقد عطَّلتنا، فلتمضِ لسبيلك لنفرغ لغيرك.

وما زلت أذكر أن هؤلاء كانوا أمهر الناس في تعقيد المصالح وتعطيل المراجعين، وكان يؤخِّر عليَّ وعلى غيري إنجاز معاملاتنا، وشاء الله أن يحتاج إليَّ في تعليم ولده، ولشدة ما كانت دهشتي حين ثبت لي أن الرجل يستطيع حل أي مشكلة، وكنت إذا راجعته في موضوع

قدَّم إليَّ بعض الشراب، ولم يطلب مني أية إضافة، وكنت قبل تلك المعرفة أراجعه في الأمر نفسه فلا يقضيه إلا بعد عدة رحلات يريني أثناءها مر العذاب.

جاء في الصحيحين عن سهيل بن صالح ﵁ قال: كنا بعرفة فمرَّ عمر بن عبد العزيز، وهو أمير الموسم، فقام الناس ينظرون إليه، فقلت لأبي: يا أبت إني أرى الله يحب عمر بن عبد العزيز، قال: وما ذاك؟ قلت: لما له من الحب في قلوب الناس، قال: بأبيك أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله إذا أحب عبدًا دعا جبريل فقال: إني أحب فلانًا فأحبه فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض**».

إنَّ من أعظم آداب المسلم أدب المودة حتى تراه وإخوانه المسلمين كالجسد الواحد وكالبنيان المرصوص، وترى لكلِّ مسلم في قلبه احترامًا ورحمةً وشفقةً وتقديرًا.

إنَّ حب الناس منزلة لا يرقى إليها إلا الأبرار، وهي أبقى على الدهر من مُلك سليمان ﵇ وأجل ما يدخره ويحرص عليه إنسان، وما أجمل ما قال حافظ إبراهيم -رحمه الله- في رثاء البارودي؛ إذ يقول:

مُلكُ القُلوبِ وَأَنتَ المُستَقِلَّ بِهِ ... أبقى عَلى الدَّهرِ مِن مُلكِ اِبنِ داودِ

- جاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**».

- وفي الحديث المتفق عليه: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**».

- وفي سنن أبي داود والترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أحب الرجل أخاه؛ فليخبره أنه يحبه**».

- وفي الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن لا يرحم الناس لا يرحمه الله**».

- ودعا رسول الله ﷺ بهذا الدعاء: «**اللهم مَن ولي من أمر المسلمين شيئًا فيسَّر عليهم فيسِّر عليه، ومَن ولي من أمر المسلمين شيئًا فعسَّر عليهم فعسِّر عليه**».

- ولشدة حب الرسول ﷺ للمسلمين كان يخشى أن يحرك أحدهم سلاحه من غير قصد

فيصيب مسلمًا خطأً، فقد روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا مَرَّ أَحَدُكُمْ فِي مَسْجِدِنَا أَوْ فِي سُوقِنَا وَمَعَهُ نَبْلٌ؛ فَلْيُمْسِكْ عَلَى نِصَالِهَا -أَوْ قَالَ: فَلْيَقْبِضْ بِكَفِّهِ- أَنْ يُصِيبَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا شَيْءٌ**».

– وكان رسول الله ﷺ أرأف الخلق بالمسلمين، وكان يصعب عليه تعبهم كما وصفه ربه بقوله: ﴿**عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ**﴾ [التوبة: ١٢٨]، أي: صعب عليه عنتكم أي: تعبكم، فقد جاء في الحديث المتفق عليه أنه ﷺ قال: «**إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف؛ فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه؛ فليطول ما شاء**».

– وفي الصحيحين أنه ﷺ كَانَ لَيَدَعُ الْعَمَلَ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ.

– وفي الصحيحين أنه ﷺ قال: «**إِنِّي لَأَقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي** (أي: أخففها) **كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ**».

– ومن صفات المؤمن التي رسمها رسول الله ﷺ في الأحاديث الصحيحة أنه لا يحقر المسلم ولا يظلمه ولا يخذله، والموظف الذي يعقد مصالح المسلمين يفعل كل هذا؛ لأنه يظلمهم ويخذلهم ويحتقرهم حين يطيل وقوفهم بين يديه كأنهم عبيد أبيه.

– ومن صفات المسلم في احترام أخيه المسلم أنه ينفِّس كربته، ويقضي حوائجه، ولا يخونه، ولا يكذب عليه، ويصون عرضه ودمه وماله، ولا يلجأ إلى مناجشته أو حسده أو مقاطعته، ولا يخطب على خِطبته، ولا يبيع على بيعه، ويحب له ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، وأن ينصره ظالمًا أو مظلومًا، وإذا رآه متلبسًا بمعصية في غير مجاهرة أن يستره ويرشده في غير قسوة، ففي الحديث المتفق عليه قال رسول الله ﷺ: «**إذا زنت الأمة فتبين زناها** (يعني: بحمل أو مشاهدة) **فليجلدها الحد** (أي: خمسين جلدة)، **ولا يثرِّب عليها** (أي: تعيرها بذنبها)، **ثم إذا زنت الثانية فليجلدها الحد ولا يثرِّب عليها، ثم إذا زنت الثالثة فليبعها ولو بحبل من شعر**»، وأمره ببيعها له حكمة وهي عدم اقتناء أهل المعصية في بيته لكي لا يفسد عليه أهل بيته.

وكان رسول الله ﷺ يرى أن قضاء حاجة المسلم والمشي له أفضل من صلاة النافلة والاعتكاف لها؛ فقد روي عنه ﷺ أنه قال: «**لأن يمشي أحدكم في حاجة أخيه خيرٌ له من أن يعتكف في مسجدي هذا شهرين**».

وكان -عليه الصلاة والسلام- كما جاء في الحديث المتفق عليه إِذَا أَتَاهُ طَالِبُ حَاجَةٍ أَقْبَلَ عَلَى جُلَسَائِهِ، فَقَالَ: «**اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا، وَلْيَقْضِ اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ**».

ما أجمل أن تشيع في المجتمع المسلم رحمة العبد للعبد ونبذ الكراهية والحقد وصيانة الحرمان، فتلك هي دعائم المحبة وبواعث القوة والوحدة، يقول الله ﷻ: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾ [آل عمران: ١٠٣].

الشفقة والتراحم

من أعظم آداب المؤمن تلك الشفقة التي تعمر قلبه بالمشاعر النبيلة والعواطف الجليلة، وهي شفقة تعم كل مخلوقات الله، وتنتظم الإنسان والطير والبهائم، وكل ذي كبد رطبة، إنها شفقة يغرسها الإسلام في قلب المؤمن ثم لا تزال تزكو وتزداد كلما تلا المؤمن آيات قرآنه العظيم وأخلاق رسوله الكريم.

وأعظم ما تكون شفقة المؤمن على الضعفاء من خلق الله كالأرامل والأيتام والمصابين والمعوقين، وإذا قيل: إن المؤمن يقسو على الكفار ولا يشفق عليهم، وأن دينه يأمره أن يشتد على الكفار؛ فاعلم أن تلك الشدة ما هي في الحقيقة إلا شفقة عليهم؛ لأن القسوة على الكافر إنما هي وسيلة لإنقاذه من الكفر، والمؤمن حين يقسو على الكافر لا يشفي بقسوته ثأرًا ولا يطفئ حقدًا، وإنما هو يرجو الله أن يهدي كل عاصٍ، ويصلح كل مفسد، وحالما يسلم ذلك الكافر ويهتدي ذلك العاصي ينعطف المؤمن إليه ويحبه أخًا في الله، ويرى ماله وعرضه وكل حرمته مقدسة مصونة، ومجمل القول المؤمن: إن المؤمن إنما يحارب الكافر ليحمله على تقوى الله وطاعته ومخافته ليعود إلى سعادة الإيمان، ويبتعد عن شقاء الكفر.

إنَّ رسولنا ﷺ علَّمنا وعلَّم الدنيا كلها رحمة العبد للعبد ونبذ الكراهية والحقد، وأوصانا برحمة كل خلق من خلق الله تعالى؛ لأن الخلق كلهم عباد الله، وخير خلق الله أعظمهم رحمة بخلقه، يقول النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: «**مَن لا يرحم الناس لا يرحمه الله**».

وكنت من صغري أعشق حديثًا لرسول الله ﷺ، وأعلِّم الطلاب أن يحفظوه، ويتمثل به في كتابتهم لما راعني من أسلوبه البديع وفكره الرفيع، وهو الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء**».

وروى الشيخان أن الأقرع بن حابس وكان أعرابيًّا جافيًا قال لرسول الله ﷺ: إنكم تقبلون صبيانكم وما نقبلهم، فقال له رسول الله ﷺ: «**أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ**».

ولم تقتصر رحمته ﷺ على الإنسان، فقد أوصانا بكلِّ حي من الأحياء ذي كبد رطبة، فقد روى ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً أضجع شاةً ليذبحها، وطفق يحِد شفرته، فقال للرجل: «**أتريد أن تميتها مرتين**»، وفي رواية: «**أتريد أن تميتها موتات؟ هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها**».

وفي سنن النسائي أن النبي ﷺ قال: «**ما من إنسان يقتل عصفورًا فما فوقها بغير حقها إلا سأله الله عنها يوم القيامة**»، قيل: يا رسول الله، وما حقها؟ قال: «**حقها أن تذبحها فتأكلها، ولا تقطع رأسها فترمي بها**».

وفي سنن النسائي أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن قتل عصفورًا عبثًا إلا عجَّ** (رفع صوته بالصياح) **إلى الله يوم القيامة، يقول: يا ربِّ، إن فلانًا قتلني عبثًا، ولم يقتلني منفعة**».

ورأى رجلاً يسحب شاة برجلها ليذبحها، فقال له: «**ويلك قدها إلى الموت قودًا جميلاً**».

ونهى -عليه الصلاة والسلام- أن يتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا يرمى بالسهام، أي: تتعلم عليه الرماية، وقال: «**لعن الله من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا**».

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ

فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ، فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمَّرَةُ، فَجَعَلَتْ تَفْرُشُ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا، رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا**».

وَرَأَى ﷺ قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حرَّقها أصحابه فَقَالَ: «**مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ؟**». قالوا: نَحْنُ. قَالَ: «**إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلاَّ رَبُّ النَّارِ**».

ودخل -عليه الصلاة والسلام- دار قوم فوجد جملاً ناحل الجسم، ويبدو أن الحيوانات لها في الناس فراسة، فقد أقبل الجمل على رسول الله ﷺ، وأدنى إليه جرانه (باطن العنق من البعير)، فقال لأهل البيت: «**اتَّقُوا اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُعْجَمَةِ، فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً، وَكُلُوهَا صَالِحَةً**».

وحرَّم رسول الله ﷺ تعذيب القطط والكلاب قبل أن تنشأ جمعيات الرفق بالحيوان بألف وأربعمائة سنة، فقال رسول الله ﷺ: «**دخلت امرأة النار في هرة، حبستها فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**».

وفي الحديث المتفق عليه أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ رَجُلاً رَأَى كَلْبًا يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَأَخَذَ الرَّجُلُ خُفَّهُ فَجَعَلَ يَغْرِفُ لَهُ بِهِ حَتَّى أَرْوَاهُ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ**».

وشدَّد رسول الله ﷺ في أمر تعذيب المملوك والخادم، قال أبو مسعود البدري رضي الله عنه: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلاَمًا لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: «**اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، للهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ**»، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ، فَقَالَ: «**أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ**».

وكان أبو ذر رضي الله عنه إذا اشترى لنفسه حلة اشترى لخادمه مثلها، ويردد قول رسول الله ﷺ: «**إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**».

وفي سنن أبي داود أن آخر ما قاله رسول الله ﷺ: «**الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم**».

وفي سنن الترمذي أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: إن خادمي يسيء ويظلم، أفأضربه؟ فقال رسول الله ﷺ: «**تعفو عنه كل يوم سبعين مرة**».

وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا**».

وللترمذي أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «**ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ نَشَرَ اللهُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَأَدْخَلَهُ جَنَّتَهُ: رِفْقٌ بِالضَّعِيفِ، وَشَفَقَةٌ عَلَى الْوَالِدَيْنِ، وَإِحْسَانٌ إِلَى الْمَمْلُوكِ**».

ومن شفقته ﷺ أنه نهى عن الضرب في الوجه، ووسم الحيوان على الوجه، والكي في الوجه.

وبعد؛ فما أجمل قوله تعالى في وصفه لرسالة محمد ﷺ؛ إذ يقول: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

حقوق الإنســـان

يحرص الإسلام على الأسرة المسلمة؛ لأنها وحدة المجتمع ونواته، وما المجتمع إلا مجموعة من الأسر ذات الخصائص المشتركة، فإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع كله، ومن أجل هذا تبدأ التربية الإسلامية بالفرد ثم بالأسرة ثم تكون التربية الاجتماعية، وأفراد الأسرة الواحدة هم الأرحام بدءًا بالوالدين والإخوة والأخوات وأبنائهم، ثم يأتي الأعمام والأخوال، ثم الأقرب فالأقرب.

وقد أوصى ديننا الكريم بالرحم أن تُبرَّ ويُحسنَ إليها وتوصل ليكون تماسك الأسرة مقدمة لتماسك المجتمع ولتكون روح المودة والإحسان داخل الأسرة بداية موفقة لشيوع المحبة والبر في كلِّ المجتمع الإسلامي الوضيء النظيف.

وهذه بعض الأحاديث الشريفة التي تعالج آداب التعامل مع الأرحام، نسوقها ثم نتبعها إنْ شاء الله بخلاصة لتلك الآداب:

– وفي صحيح مسلم أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ يستأذنه في الجهاد، فقال: «**أحيٌّ والداك؟**» قال: نعم، قال: «**ففيهما فجاهد**».

– وفي سنن أبي داود جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: جئت أبايعك على الهجرة، وتركت أبوي يبكيان، فقال: «**فارجع إليهما، فأضحكهما كما أبكيتهما**».

- وفي سنن ابن ماجه أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: ما حق الوالدين على ولدهما؟ قال: «**هما جنتك ونارك**».

- وفي مسند أحمد من حديث مُعَاوِيَةَ بْنِ جَاهِمَةَ أنه جَاءَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَرَدْتُ الْغَزْوَ وَجِئْتُكَ أَسْتَشِيرُكَ. فَقَالَ: «**هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ**». قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ: «**الْزَمْهَا، فَإِنَّ الْجَنَّةَ عِنْدَ رِجْلِهَا**». **ثُمَّ الثَّانِيَةَ ثُمَّ الثَّالِثَةَ فِي مَقَاعِدَ شَتَّى كَمِثْلِ هَذَا الْقَوْلِ.**

- وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره؛ فليصل رحمه**».

- وفي مسند أحمد من حديث عائشة -رضي الله عنها: «**صلة الرحم وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار**».

- وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**الرحم متعلقة بالعرش، تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله**».

- وفي الصحيحين أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله -تعالى- خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال ﷻ: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك، قالت: بلا، قال: فذلك لك**». ثم تلا -عليه الصلاة والسلام- قوله تعالى: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**﴾ [محمد: ٢٢]. ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ**﴾ [محمد: ٢٣].

- وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها**».

- وفي صحيح مسلم أن رجلاً قال: يا رسول الله، إنَّ لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ، فَقَالَ: «**لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ** (أي: الرماد الحار)، **وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ**».

- وفي سنن ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال: «**أسرع الخير ثوابًا البر وصلة الرحم، وأسرع الشر عقوبة العقوق وقطيعة الرحم**».

أولاً: عند غير المسلمين وخصوصًا في بلاد العرب لم يعد لإكرام الأرحام أي معني في نظر الكثيرين، فالأب قد لا يرى ابنه، والأم قد لا يتعرف عليها ولدها، وقد استفحل هذا الأمر بعد تشريعهم في اتخاذ العشيقات وشيوع الفاحشة، وقد أحدث هذا في المجتمعات تمزقًا وضياعًا وانهيارًا أخلاقيًّا، وأصبحنا نقرأ هذا في صحافتهم أن آباء تخلصوا من أطفالهم وقتلوا أسرهم بعد أن يئسوا من رحمة الله.

أما في شريعتنا المباركة السمحة؛ فالصلة بفضل الله تظل بين الأب وابنه وابنته وبين الأم وأولادها وبين الإخوة والأخوات والأقارب، تظل طول الحياة زاكية مباركة، تتفيأ ظلال الرحمة والبر والإحسان والحب الصادق.

ومن ثَمَّ ظلَّ المجتمع الإسلامي واحة أمن وشاطئ سلامة حين تحولت المجتمعات الكافرة إلى غابات موحشة تموج بالذعر والأخطار.

ثانيًا: من آداب التعامل مع الأرحام أن يعرف كل منهم حق الآخر عليه، فلكل من الأب والأم والزوجة والابن والبنت وللأخ والأخت وللعمة والخالة وللعم والخال، أقول لكل من هؤلاء حقوق ذكرها الشرع الشريف، وعلى المسلم أن يؤدي لكل من هؤلاء حقه كما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويقوم على المتابعة والتنفيذ الأب الذي هو راعي الأسرة مستجيبًا لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا**﴾ [التحريم: ٦].

ومن تلك الآداب أن يقوم الوالدان بحق التربية كراعيين مسئولين، ويقوم الأبناء برد الجميل العظيم لهما بالبر والإحسان والإكرام لهما في الحياة وبعد الممات.

ومن آداب التعامل مع الرحم أن تصل الأرحام وإن قطعوك؛ لأن الواصل الحقيقي للرحم هو الذي يصل الرحم التي تقطعه، أما من يصل الرحم التي تصله فذلك هو سلوك المعاملة بالمثل، ويكون مع الأرحام ومع غيرهم.

ومن تلك الآداب أن تحرص على بناء الأسرة وتعتبره حمى مقدسًا، فلا ترضى أن يمس كرامة أسرتك أي سوء، وتحرص على سلامة أعراضها وشرفها؛ لأنه لا يرضي بالسوء في عرض أسرته إلا الديوث الذي لا يريح ريح الجنة.

obeikandl.com

ومن تلك الآداب أن تعين أقاربك على التزام الحق، وألا تحول الصلة إلى عصبية تتجاهل العدالة، وأن تهتم بدين أرحامك أكثر مما تهتم بمصالحهم الدنيوية لتظل الأسرة كالبلد الطيب الذي يخرج نباته المبارك بإذن الله.

ومن تلك الآداب أن تبدأ في البر والمعروف بمن تعول ثم بالأقرب فالأقرب؛ ففي الأثر أن الله ﷻ لا يقبل صدقة رجل منعها ابن عمه، ومن شاع له في الناس بأنه طيب ويشتكي في الوقت نفسه من أرحامه، فذلك في الغالب لا يخلو من النفاق، هذا وعلى من يدعو ربه أن يتفقد بالدعاء أرحامه من الوالدين والذرية والإخوة والأخوات.

* * *

نظرة الإسلام الإنسانية للتعامل مع الآخرين

من آداب المؤمن أن نظرته واسعة لا تنحصر في دائرة ذاته ولا ترسب في وعاء شهواته، فهو يبدأ بنفسه ويثني بمن يعول، لكنه يشعر على كافة أحواله أن عليه حقوقًا للغير، ثم لا تزال نفسه الكريمة اللوامة تذكره تلك الحقوق، وتحدوه إلى أدائها حتى يعطي كل ذي حق حقه، فالإسلام يعتبر الإنسانية عائلة واحدة؛ إذ إن الخلق عيال الله، وأفضل الناس أنفعهم لعياله، والإنسانية وإن تقسمت شعوبًا وقبائل فهم جميعًا منحدرون من أب واحد وأم واحدة، وعليهم أن يتعارفوا والتعارف لا بدَّ أن تعقبه صداقة وتعاون وإكرام.

ولقد أمرنا ربنا أن نوحِّده أولاً، وهذا هو حقه على عبيده، ثم أمرنا حالاً بعد ذلك بأداء الحقوق لذوي الحقوق من والدين وأقرباء وضعفاء وجيران، وما أجمل قوله تعالى: ﴿**وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا**﴾ [النساء: ٣٦]، وانظر إلى ختام الآية وما تحمله من دلالة حكمية مفادها أن مَن لا يعترف بحقوق مَن حوله، فهو المتغرطس الذي حرم نفسه من حب الله، وما يترتب على حبه -تبارك وتعالى- من مواهب ومكارم يسعد بها العبد في الدارين.